التضليل في خطاب السلطة

خطابات محمد سعيد الصحاف نموذجًا

منال جمال محمود

مقدمة :

تتخذ الدراسة من "التضليل" موضوعًا لها، واختارت خطابات وزير الإعلام العراقى الأسبق محمد سعيد الصحاف[١] نموذجًا؛ فقد شغل منصب وزير الإعلام إبان الحرب على العراق، واشتهر بخطاباته التي هاجم فيها قوات التحالف بضراوة، وتوعدهم بهزيمة نكراء، ومنَّى العراقيين والعالم العربى بانتصار ساحق، غير أن العالم شهد يوم التاسع من إبريل لعام ٢٠٠٣ انهيار النظام العراقى واختفاء كل رموزه بمن فيهم الصحاف نفسه، وكانت خيبة الأمل التي مُنى بها المواطن العراقى بخاصة والعربى عامة دافعًا لمحلل الخطاب يتسائل كثيرًا عن حجم التضليل وأدواته في ذلك الخطاب السلطوى الإعلامى المصاحب للأزمة.

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن التضليل وآلياته في خطابات محمد الصحاف عبر مستويات تحليل الخطاب المختلفة، إذ تتناول بعد التعريف بالتضليل وآلياته، الأبعاد السياقية للخطابات موضوع الدراسة. والدلالة الكبرى، والوحدات الدلالية، بما تشمله من وصف للذات وتسمية الآخر ووصفه وتسمية أحداث الحرب والوحدات الدلالية المشوشة. والمستوى التركيبي ويضم التعليل والاستدراك والنفي والقصر والجمل المركبة بشكل مشوش. والمستوى التداولي يتناول الأفعال الإنجازية الطلبية والالتزامية. وأخيرًا المستوى البلاغي ويركز على الاستعارة المفهومية، وتُختم الدراسة بخاتمة تضم أهم النتائج التي تعكس مظاهر التضليل في خطابات الصحاف.

مفهوم التضليل وآلياته:

التضليل manipulation هو أحد المفاهيم المهمة في التحليل النقدى للخطاب[٢]، ويرى باولو فرير أن التضليل "يمثل إحدى الأدوات التي تسعى النخبة من خلالها إلى تطويع الجماهير لأهدافها الخاصة"[٣]. ويعرف فان دايك van Dijk في دراسته"الخطاب والتضليل" الخطاب المُضلِل بأنه "خطاب يصب في مصلحة الجماعة المسيطِرة ضد الجماعة المسيطَر عليها، مما يعد عملا غير مشروع؛ لما ينشأ عنه من ظلم اجتماعى[٤]. ويذهب لويس دي سوسير Louis de Saussure إلى أن التضليل يعتمد على آليات معينة لتلبية احتياجات الشخص القائم بالتضليل ومصالحه[٥].

والتضليل – من الناحية الاجتماعية – يعمل على تحقيق سيطرة غير مشروعة لجماعة على حساب جماعة أخرى، مما ينشأ عنه عدم المساواة الاجتماعية. كما أن التضليل – معرفيًا – هو السيطرة على

العقل؛ إذ ينطوي على التدخل في عمليات الفهم، وتشكيل النماذج العقلية المنحازة، والتمثيلات الاجتماعيـــة مثل المعارف والمعتقدات [٦].

يرى فان دايك أن خطاب التضليل يقوم على فكرة أساسية هي تحسين الذات وتشويه الآخر، ويمكن تناول هذه الفكرة عبر مستويات التحليل المختلفة وهي: السياق، والدلالـــة الكبـــرى للخطابـــات، والبنيـــة التركيبية، والأفعال الكلامية والبلاغة[٧].

أولاً: الأبعاد السياقية لخطابات الصحاف:

يتحقق في الخطاب المُضلِل – كما ذكر فان دايك – عدد من العوامل السياقية المهمة منها "المكانـــة الاجتماعية والسياسية والعلمية للنخب والجماعات والمنظمـــات التـــي تحفـــز النـــاس لقبـــول الخطابـــات والحجج"[٨]، كما تحدث دي سوسير عن هذا العامل نفسه عند حديثه عن صورة الشخص المضلل، التـــي يبدو فيها أنه ذو كفاءة فائقة، ولديه المعلومات التي لم يَسمع أحد بها،...وأنه يعرف عن مـــصير المجتمـــع أكثر من أى شخص آخر، وهذه الصورة تحقق هدفًا معينًا، وهو أن يكون المتلقي علـــى ثقـــة بزعيمـــه/ قائده، وهذه الثقة شرط لكسب الموافقة الخالصة التي تخلق الاعتقاد بأن الشخص المُضلِل يعمل من أجـــل مصالح الأفراد الخاصة، فالثقة تحجب التفكير النقدي[٩].

ويتوافر هذا العامل السياقي للصحاف؛ إذ إن عمله وزيرًا للإعلام، جعله يتصدر المشهد الإعلامي؛ فقد كان متحدثًا باسم النظام العراقي، واضطلع بمهمة نقل أخبار الحرب عبر المؤتمرات الصحفية تـــارة، ومن خلال النقل الحي للأخبار من ميدان المعركة تارة ثانية، وعبر أحاديثه الصحفية والتلفزيونيـــة تـــارة ثالثة؛ مما مكنه من تقديم ما يشاء هو ونظامه من معلومات وأخبار عن المعارك الدائرة، كمـــا أتـــاح لـــه منصبه ثقة عند الجمهور. وكان الصحاف على وعي بدوره ومكانته فقد قال في حديثه التلفزيوني لقناة أبو ظبي في يوم ٢٠٠٣/٣/٢٤": وسأستمر بتزويدهم بالمعلومات الحقيقية". كما ذكر في المؤتمر الذي عقـــده للحديث عن أحداث المطار يوم ٢٠٠٣/٤/٥:"جمعنا أدق المعلومات"، وظهر الصحاف مرتديًا زيًا عسكريًا في إشارة منه إلى انغماس النظام بأكمله مدنيين وعسكرين في أحداث المعارك مما يقوى الثقة فيه، وفيمـــا ينقله من أخبار.

وهناك عامل سياقي آخر ظهر مع خطابات الصحاف، هو نقص المعرفة لـــدى المتلقـــين، أو عـــدم اكتمالها، بما لا يدع مجالاً لإقامة حجج مضادة[١٠]، فالمتلقي العراقي خاصة والمتلقي العربي بصفة عامة لم يكن له معرفة بسير المعارك في العراق إلا من خلال ما تنقله القيادة العراقية على لسان وزير إعلامها وغيره من القيادات، مما ممكن الصحاف من نقل المعلومات بالطريقة التي تخدم مصالح النظام العراقي.

ثانيًا: الدلالة الكبرى لخطابات الصحاف:

تتعامل الدلالة الكبرى macrosemantics للخطاب – وفقًا لما ذكره فان دايك في كتابـــه الأخبـــار بوصفها خطابًا– مع المعنى الكلىglobal meaning بما يسمح بوصف المعنـــى الإجمـــالى للفقـــرة أو

الفصل المكتوب من الخطاب[١١]. وذكر فان دايك أن الدلالة الكبرى للخطاب المضلل تقوم علـــى اختيـــار الموضوعات الإيجابية عند الحديث عن الذات، والموضوعات السلبية عند الحديث عن الآخر[١٢].

وتكشف الدلالة الكبرى لخطابات الصحاف عن اختيار الموضوعات الإيجابية دائمًا عند الحديث عن الجيش العراقى والسلطة العراقية؛ فالجيش العراقى "يقتل ويأسر ويُثَبّت ويحاصر ويهـــزم..."، والحـــرس الجمهورى "يحكم ويتحكم".

كما تُظهر الدلالة الكبرى للخطابات نفسها اختيار الموضوعات السلبية عند الحـــديث عـــن القـــوات الأمريكية والبريطانية: تُضرب وتتراجع وتنسحب وتُهزم...

وهناك شيء آخر يتعلق بالدلالة الكبرى تحدث عنـــه لـــوبس دي سوســـير، وهـــو إخفـــاء بعـــض الموضوعات المهمة أو تعمد تهميشها[١٣]، ويظهر هذا في خطابات الصحاف التي تعمدت تجاهل أو إخفاء قوة الجيش الأمريكى والخسائر التي تكبدها العراق جراء الحرب، وتقدم القوات الأمريكية الـــدائم داخـــل الأراضي العراقية، وذلك حفاظًا على الروح المعنوية للجيش العراقي وإقناعًا للشعب العراقي والجمهـــور العربى بسيطرة السلطة العراقية على الأحداث، وقدرتها على هزيمة قوات التحالف.

ثالثًا: الوحدات الدلالية [١٤]:

تتناول الدراسة في هذا القسم الوحدات الدلالية التي استعملها الصحاف عند الحـــديث عـــن الـــذات والآخر والوحدات الدلالية المشوشة..

إن تسمية الأشخاص والأحداث إستراتيجية لغوية مهمة في خطاب التضليل[١٥]. وذكر فان دايـــك أن خطاب التضليل يوظف الكلمات الإيجابية للذات والكلمات السلبية عن الآخر.

١- صفة الذات:

يقصد بالذات هنا تسميات الصحاف للسلطة العراقية(جيشًا، وحرسًا جمهوريًا...)، وجـــاءت علـــى النحو التالى:

- جريدة الشرق الأوسط٢٠٠٣/٤/٦: و"الحرس الجمهوري (العراقي) **البطل** الآن يحكم ويتحكم في كل أنحاء العراق".
- جريدة الشرق الأوسط٢٠٠٣/٤/٨: واعطاهم جنودنا **البواسل** درسا لن ينساه التاريخ.
- جريدة الشرق الأوسط ٢٠٠٣/٤/٨: بغداد آمنة وحصينة.

فقد أتى بالصفتين "البطل والبواسل" عندما تحدث عن الحرس الجمهوري والجنـــود العـــراقيين، ويحملان معنى الشجاعة والإقدام[١٦] في ميدان القتال مما يكشف عن تمجيده لهم. كما أتى بـــالكلمتين "آمنة وحصينة"، والأمن ناتج عن تحصين بغداد، وقد أراد إقناع المتلقى بمنعة العاصمة، ثـــم يكـــشف الواقع تضليل الصحاف، فقد سقطت بغداد في أيدى قوات التحالف في التاسع من إبريل.

٢- تسمية الآخر:

وقد أكثر الصحاف من تسميات قوات التحالف على النحو التالى:

- مؤتمر عن أحداث مطار البصرة ٢٠٠٣/٣/٢٢: في منطقة الجيباش... عملوا إنزال لعدد من **علوجهم**[١٧] **ومرتزقتهم.**
- جاء في مؤتمر مطار أم القصر٢٠٠٣/٣/٢٣: الخائبين الأمريكان والبريطانيين عملوا إنزال لقوات محمولة [١٨].
- مؤتمر المطار ٢٠٠٣/٤/٥: لذلك سأعطيكم معلومات عما حدث من قبل **الأوغاد**..
- حديث لقناة الجزيرة ٢٠٠٣/٤/٦: أنهم يرفضون دخول معركة ويانا هم **جبناء**[١٩].
- حديثه للقنوات التلفيزيونية عن ضرب قصر السلام ٢٠٠٣/٤/٧:هذا **المجرم التعس** رامسيفلد..، هذا **مجرم تافه**... هذا وزير الدفاع **الباله** لا يستحق إلا الضرب على الرأس.

أعطى الصحاف لقوات التحالف عددًا من التسميات، منها تسمية يتجلى معها تشويه العدو وتحقيره من خلال إظهار مخالفته الدينية، ويظهر من خلال استدعاء كلمة "عُلوج" التي تكررت كثيرًا في كل خطابات الصحاف. ولهذه الكلمة أبعاد مختلفة؛ إذ تعني معجميًا الرجل الشديد الغليظ، وهو أيضًا الرجل من كفَّار العجم، والعِلْج: حمار الوحش لاستعلاج خلقه وغلظه؛ ويقال للعَيْرِ الوحشي إذا سَمِن وقَوِيَ: عِلْج. وكلُّ صُلْب شديد: عِلْج. ويقال للرغيف الغليظ[٢٠].وكان الصحاف على وعي بدلالة الكلمة وسياقاتها التاريخية؛ فقد ذكر أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وصف بها علوج الفرس وعلوج الروم، كما استخدمها مؤرخو المسلمين عندما وصفوا جيوش الإفرنج وموجات الحروب الصيلبية قالوا هؤلاء العلوج، ومعنى علوج الحمير التي تعيش في البرية. ويظهر اختيار الصحاف لهذه الكلمة استحضار صورة الحرب الدينية إلى ذهن المتلقي العراقى والعربى أيضًا.

وقد يكون التشويه مرتبطًا بالبحث عن المال، كما في "مرتزقة" تعنى من يحارب في جيش لا يتبع دولته؛ طمعًا في المكافأة المادية[٢١]، وفضلاً عن كونها مرتبطة بالحرب مقابل المال؛ فإنها تهين الدولة التي يُوصف جيشها بالمرتزقة لأنها تعني بالضرورة أن ليس لها جيش وطني وأن من يحاربون ليسوا أصحاب القضية أو المبدأ بل الباحثين عن المال.

وثمة تسميات أخرى تتضمن تشويهًا وتهوينًا واستخفافًا كما هو الحال مع كلمة "أوغاد"، وهي جمع وغد، وتعنى الأحمق والدنيء وصغير العقل وضعيف الجسم وخادم القوم [٢٢]، وتشير كل هذه الدلالات السلبية إلى تحقير الصحاف واستهانته بقوات التحالف؛ فالأحمق صغير العقل لا يستطيع تقدير الأمور أو حساب عواقبها، وهذا يعني أن مصيره هو الهلاك والهزيمة.

كما سمَّاهم "بالقوات الخائبة"، والخائب هو الفاشل والخاسر، والتسمية هنا بها إشارة لمستقبل هذه القوات من فشل وخسران. كما وصفهم بالجبناء، ودلالة الكلمة فيها استخفاف وتهوين؛ إذ إن الجبان هو الشخص الذي يتهيب الإقدام على ما لا ينبغى الخوف منه[٢٣].

وقد يتعلق التشويه والتهوين والتقزيم بأحد القيادات، وهو وزير الدفاع الأمريكى رامسيفلد، فقد سماه "مجرم"، وتعني مرتكب الذنب[٢٤]. ثم وصفه تارة بالتعس، وهذه الصفة تشير إلى ما سيؤول إليه وزير الدفاع من شقاء وسوء حظ[٢٥] بسبب اشتراكه في غزو العراق. ووصفه تارة ثانية "بالتافه" تحقيرًا من شانه، فجمع بذلك بين النيل من أخلاقه وعقله، فالتافه من لا قيمة له[٢٦]. ووصفه تارة ثالثة بالبالـه، وهو من لا عقل له[٢٧].

ويلاحظ أن الصحاف اعتمد على التسميات السلبية الي تشوه العدو وتقلل من قيمته أكثر من الأوصاف التي تمجد الذات، كي يشغل ذهن المتلقي بهذا التشويه ويصرفه عن الالتفات لموضوعات أخرى.

٣- تسمية أحداث الحرب:

- مؤتمر مطار البصرة ٢٢/٣/ ٢٠٠٣: "بعض قوات اللواء ٤٢٢ **دكتهم** دكا **وتراجع** هذا الرتل الخائب **وانهزم**"
- الشرق حديث لقناة أبو ظبى ٢٤/٣/ ٢٠٠٣: "هم بقوا **محاصَرين** يعنى بحر النجف **يحاصرهم** يعنى القرى والمزارع التي في بحر النجف أبو صخير **محاصرهم** المقاومين في الكوفة **محاصِرهم**".
- جريدة الشرق الأوسط: ٢٤/٣/٢٠٠٣: "قام الأميركيون **بتحريك** رتل من المدرعات والدبابات في منطقة مطار البصرة **وتصدى له المقاتلون ودمروا** ٤ دبابات **وقتلوا** بعض المرتزقة".
- مؤتمر المطار٥/٤/ ٢٠٠٣: "فى عامرية الفلوجة...قامت قواتنا **بشن هجوم** على العدو الأمريكى البريطانى فتوقف وبدأ **ينسحب** نحو الجنوب بعد أن **ثبت** علوج الاستعمار في هذه الأماكن...في منطقة الكوت...بعد أن **هزموا** يوم أمس **لاحقتهم** قواتنا...هذه الصورة فعليا فعلا لما جرى إنه **سُحق تراجع للخلف**".
- جريدة الشرق الأوسط٨/٤/٢٠٠٣: "الكفرة **ينتحرون** بالمئات على اسوار بغداد".

لما كانت قوات التحالف تشن غاراتها في العراق؛ فقد توزعت الوحدات الدلالية بين حديث عما قام به العراق، وآخر عما قامت به قوات التحالف، وما حدث لقوات التحالف، وذلك على النحو التالى:

عندما تحدث الصحاف عن العراق بيِّن قوته وبأسه الشديد على عدوه؛ فوظف الفعل "يحاصر" كما جاء باسم الفاعل منه "محاصِر"؛ ليدل على السيطرة العراقية على القوات الأمريكية التي حاولت دخول

الأراضى العراقية؛ فالحصار في المجال العسكري يعني إحاطة الجيوش للمدن والأهداف العسكرية، وقطع وسائل الحياة والاتصالات عنها؛ وذلك لدفع أهلها إلى الاستسلام"[٢٨].

وجاء بالفعل "تصدى"، وتصدى للعدو يعنى واجهه عارضه جابهه[٢٩]ـ وتبعه بالفعل "دمَّـر" ودمـر الشيء حطمه وأباده وضيعه[٣٠]، ثم استعمل الفعل "قتلوا...". وزاد من تضخيم قوة الجيش العراقى بقولـه إن قواته "شنت هجومًا" و"دكت العدو دكا"، ويعني الفعل الأول "أغار على العدو من كل ناحيـة[٣١]، أمـا الفعل الثاني فيعني هدم حصون الأعداء بقوة[٣٢].

وعندما تحدث الصحاف عما فعلته القوات الأمريكية والبريطانية بيَّن ضعفها وهوَّن مـن شـأنها؛ إذ اقتصر على ذكر أنها "قامت...بتحريك".

وأفاض في الكلام عما مُنيت به قوات التحالف في العراق؛ فقد أتى باسم المفعول "محاصَـر" الـذي يدل على قدرة القوات العراقية عليهم وإحاطتها بهم لدفعهم للاستسلام، كما ارتفع بنبرة الخطاب المـضلل إلى قمتها؛ عندما ذكر أن العدو "انسحب" و"انهزم" و"سُحق"، وكلها وحدات تعنى الهزيمة والتقهقـر. كمـا تحدث قبيل سقوط النظام العراقي عن أنهم "ينتحرون..." وتشير هذه الوحدة الدلالية التي تعني قتل الـنفس إلى وصول العدو إلى درجة من اليأس جعلته يقتل نفسه، وقد تشير أيضًا إلى إن حربهم على العراق تعني أنهم ألقوا بأنفسهم في التهلكة، أو أقدموا على قتل أنفسهم لأنهم حتمًا سيقتلون على يد الجيش العراقي.

وتُظهر هذه الوحدات الدلالية التضليل بشكل واضح في خطابات الـصحاف؛ فقـد ضـخّم التفـوق العسكرى للقوات العراقية، وقلل واستهان بقوات التحالف، وقد استمر في ترديد هذه الوحدات وأمثالها منـذ بداية الحرب حتى نهايتها التي أذهلت العالم العربي، إذ انهار النظام العراقى واختفى الصحاف.

٤- الوحدات الدلالية المشوشة fuzzy:

يرى لويس دي سوسير أن التشويش أحد الإستراتيجيات المهمة في خطاب التضليل[٣٣]، ويقول كـل من روزينا وكارابيتيانا Gunta ROZINA& Indra KARAPETJANA "إنه فـي خطـاب التـضليل تستخدم اللغة بشكل مراوغ للسيطرة على المتلقي"[٣٤].

وتظهر الوحدات الدلالية المشوشة في خطابات الصحاف على النحو التالي:

- مؤتمر أم القصر٢٠٠٣/٣/٢٣: "الخائبين الأمريكان والبريطانيين عملوا إنزال....طلعوا العشائر فأسروا **قسمًا** وقتلوا **قسمًا**". وجاء في المؤتمر نفسه: "قام الاميركيون بتحريك **رتل** من المدرعات والدبابات".
- جريدة الشرق الأوسط٢٠٠٣/٣/٢٤: "احرقوا اربع دبابات وقتلوا **عددا** من الاميركيين"[35]
- مؤتمر المطار ٢٠٠٣/٤/٥: "التحم بهم مقاتلى العشائر العراقية...أوقعوا بهم **خسائر** في الأرواح.
- وجاء في المؤتمر نفسه: "فى البصرة...دارت **أكثر** من معركة في **أكثر** من اتجاه".

- وجاء أيضًا في المؤتمر ذاته: "ما نود أن نعرفه لماذا لم تدافع القوات العراقية عن المطار؟ أنا لن أرد على أسئلة تتعلق **بتكتيكاتنا المتبعة**".
- جريدة الشرق الأوسط ٢٠٠٣/٤/٦: "وقام الحرس الجمهوري وفدائيو صدام **بعمليات مبتدعة جديدة**".
- جريدة الشرق الأوسط ٨/٤/ ٢٠٠٣:"ذبحنا **المئات** منهم".
- جريدة الشرق الأوسط ٩/٤/٢٠٠: "وقال الصحاف سنبدأ التعامل معهم **بطريقة مناسبة... الموضوع مسيطر عليه**".

تشتمل هذه النماذج على مجموعة من الكلمات المشوشة التي يرجع تشويشها إلى غمـــوض دلالتهـــا، فقد أتى الصحاف بكلمة "قسم" عند الحديث عن قوات العدو، وهى كلمة ليس لها دلالة واضحة؛ فالقسم هو جزء من شيء مقسوم[٣٦]، وتشبهها كلمة "عدد"، وتعنى مقدار ما يعد[٣٧]، وهذا المقدار غيـــر محـــدد أو معلوم. وجاء توظيف الصحاف لهاتين الكلمتين إما لعدم المعرفة بهذا العدد أو لعـــدم وجـــوده فعليـــا، أو لضآلته وعدم رغبته في التصريح بذلك، فابتعد الصحاف بهذا عن التوضيح والإفصاح.

ووظف كلمة "رتل"، وتعني جماعة من الخيول أو السيارات ونحوها يتبع بعضها بعضًا[٣٨]؛ واختـــار الصحاف هذه الكلمة ابتعادًا عن الحديث عن العدد الفعلى للقوات الأمريكية.

كما يظهر التشويش في كلمة "خسائر"، جاءت جمعًا لإشعار المتلقي بكثرة العدد، كما جاءت نكـــرة للعموم، ولعدم تحديد مقدارها مما يكسبها غموضًا.

وأتى الصحاف بالمركب الوصفى"تكتيكاتنا المتبعة" ردًا على سؤال وجه له "ما نود أن نعرفه لماذا لم تدافع القوات العراقية عن المطار؟، فراوغ الصحاف عند الإجابة عن هذا السؤال، من خلال توظيف هـــذا المركب الوصفي؛ فكلمة "تكتيك" تعنى في العلوم العسكرية "فن وضع الخطط الحربية وتحريـــك الجيـــوش بحسب تطورات المعركة[٣٩]، فهي كلمة عامة لا تحمل تحديدًا للخطط الحربية العراقية، كمـــا أن وصـــفها بكلمة "متبعة" زاد من المرواغة والتضليل، فاتبع الأمر جرى على حسب المعروف[٤٠]. ومثلـــه المركـــب الوصفي "عمليات مبتدعة جديدة"، فكلمة "عمليات" جمع عملية، وتعنى "جملة أعمال متصلة تُحـــدِث أثـــرًا خاصًا"[٤١]، ووصفها بكلمة لها دلالة إيجابية وهي "مبتدعة"، وتعني "ابتكر واستحدث وأنشأ على غير مثال سابق"[٤٢] وزاد من الدلالة الإيجابية بكلمة "جديدة"؛ ويهدف الصحاف من خلال هذا إلى إعطـــاء صـــورة إيجابية عن الجيش دون أن يكون هناك تحديد مستغلاً فخامة لفظ التكتيـــك مجموعًـــا أو لفـــظ العمليـــات موصوفًا بالابتداع والجدة.

وجاء بالمركب الوصفي "طريقة مناسبة" عند الحديث عن طريقة التعامل مـــع الجنـــود الأمريكـــان، والطريقة هي النهج والأسلوب والمسلك[٤٣]، وهي كلمة ليس لها دلالة واضحة؛ إذا لم يبين الصحاف هذه الطريقة، وكيف تكون؛ وإنما وصفها بكلمة "مناسبة"؛ للإيحاء بالسيطرة العراقية علـــى الأحـــداث دون أن

يكون هناك معنى واضح، ومثلها المركب الوصفي "الموضوع مسيطر" فهو لم يوضح كيفية الـسيطرة أو طريقتها.

واستمر الصحاف في ترديد هذه الكلمات إلى نهاية الحرب، وانهيار النظام العراقـي، وأتـى بكلمـة "مئات" عند الحديث عن عدد القوات الأمريكية المذبوحة، وتحمل هذه الكلمة التي جاءت جمعًا قـدرًا مـن المراوغة والمبالغة؛ إذ إنها تدل على العدد دون أن تحدده فعليًا.

وتظهر الوحدات الدلالية التضليل في خطاب الصحاف؛ فقد ابتعد بهـذه الوحـدات عـن التـصريح بالتفوق العسكرى لقوات التحالف في العدد والمعدات العسكرية، كما أسهمت هذه الوحدات فـي الإيحـاء بالسيطرة العراقية دون تحديد لهذه السيطرة أو لمظاهرها.

رابعًا: المستوى التركيبي:

وظف خطاب الصحاف الذي أطلقه في هذه الأزمة أبنية تركيبية معينة ليحقق من خلالهـا مقاصـد التضليل من ذلك:

١ – التعليل:

جاء التعليل في خطابات الصحاف على النحو التالى:

- مؤتمر المطار ٢٠٠٣/٤/٥: "لما نتوقف الدك عليه بالصواريخ والمدفعية يحاول يتواجد بقوات في أماكن معينة من منطقة المطار حتى يصورن لأغراض الدعاية الفارغة.
- جاء في المؤتمر نفسه: "لم يفاجئونا ولو بأى شىء لأن قيادتنا وعسكرينا كانوا حاسين من أين سيأتون".
- وقال أيضًا: "جلس الأوغاد الأمريكان مثل كولين باول والآخرين يحكون كيف يقسمون العراق كغنائم بعد الحرب...أقول لهم انتظروا لا تستعجلوا **لأن خيبتكم كبيرة**".
- فندق السلام ٢٠٠٣/٤/٧: "هؤلاء المجرمون يكذبون على العالم لأنهم مجرمين بالطبيعة ومجرمين بالإعداد".
- جريدة الشرق الأوسط ٢٠٠٣/٤/٨: "وسخر الصحاف من عرض الاميركيين صورا لعناصرهم داخل قاعة الشرف في مطار صدام الدولي وقال "يعتمدون على اسلوب خائب تافه **ليصرفوا الانظار عن جنودهم** المذبوحة".

يظهر التعليل باستخدام بعض الأدوات اللغوية مثل "اللام وحتى"، وللتعليل دور مهـم فـي الحجـاج وإقناع المتلقي؛ فالتعليل يثير الانتباه ويستجلب الإصغاء وييسر بالتالي قبول الحجج القاطعة(٤٤).

وقد يكشف التعليل عن تضخيم الذات و تقزيم العدو، كما في النموذج الأول؛ فقد علـل الـصحاف تواجد العدو في أماكن معينة بأنه لمجرد الدعاية الفارغة، بما يكشف عن السيطرة العراقية وعجز قـوات

التحالف. كما علل عدم تفاجؤ القوات العراقية بأنها تعرف من أين سيأتون، مما يعكس اســتعداد العــراق وتأهبه وسيطرته على سير المعارك.

ويرتبط بتضخيم الذات وتقزيم العدو حديثه عن فشل العدو وخيبته؛ فقــد دعــا الــصحاف قيــادات التحالف إلى الانتظار وعدم الاستعجال في الإعلان عن انتصارهم وعلل ذلك بذكر ما ينتظرهم من خيبــة كبيرة.

وقد يُظهر التعليل استخفافاً بالعدو وكشفاً لضعفه ونفيًا لسيطرته كما في النموذج الثاني؛ فقــد علــل عرض الأمريكان لصور لهم داخل مطار صدام الدولي؛ بأنها محاولة منهم لصرف الانتباه عن جنــودهم المذبوحة.

وقد يُظهر التعليل تشويه العدو ببيان كذبه؛ فقد ذكر وزير الدفاع رامسفيلد أن القوات قــذفت مواقــع عسكرية عراقية، غير أن الصحاف بَيّن أن القذف كان لفندق السلام، ثم علــل كــذبهم بــأنهم مجــرمين بالطبيعة وبالإعداد.

ويكشف التعليل محاولات الصحاف تضخيم الذات العراقية بإظهار سيطرتها وتشويه عدوها ودحــر ادعاءاته الباطلة.

٢ – الاستدراك:

- تأتي بنية الاستدراك في خطابات الصحاف على النحو التالي:
- جريدة الشرق الأوسط ٢٠٠٣/٤/٣: "نفى الصحاف ان تكون القوات الاميركية تقدمت نحو بغداد انطلاقا من مواقعها في الجنوب...وقال ردا على سؤال بهذا الشأن "انا لن ادخل في التفاصيل **لكنني** اؤكد ان هؤلاء الاوغاد سيكتشفون في الوقت المناسب في المستقبل ان ما كانوا يتظاهرون به غير صحيح".
- مؤتمر المطار٢٠٠٣/٤/٥:: "فى اليوسيفية دارت معركة شديدة بين وحدات من الجيش العراقى وعلوج الاستعمار والآن لحد بعد العصر المعركة جارية **ولكن** حدودا..."
- حديث للجزيرة ٢٠٠٣/٤/٦: "العراقيين من الآن عارفين ما هي وسائل الغش والمخادعة من أجل الكذب على العالم عسى هؤلاء العلوج يسيطرون على منطقة من العراق **لكن** ما نخليهم يعملوا ذلك".
- آخر لقاء للصحاف ٢٠٠٣/٤/٨: "ضربوا كاردت مريم قريبة من المجمع الرئيسى وقذفوا وزارة التخطيط نفس المحاولات البأسة اللى يحاولون إضعاف العاصمة **لكن** العاصمة الآن تتهيأ لسحقهم".

يتحقق الاستدراك في هذه النماذج من خلال توظيف "لكن" فقط، ويعنى الاستدراك هنا رفع ما يتوهم ثبوته[٤٥]، ول"لكن" وظيفة حجاجية مهمة "فكل خطاب تال لها هو الحجة الأقوى صوب الــدعوى التــي يدعيها المرسل"[٤٦].

يُظهر الاستدراك في النموذج الأول تشويش الصحاف على سؤال عن تقدم قوات التحـــالف بحـــديث عن كذب ادعاءاتهم.

وتحدث الصحاف في النموذج الثاني عن معركة اليوسيفية واستمرارها إلى بعد العصر، ثم اســـتدرك على ذلك، وذكر أن القوات الأمريكية "حددوا" حتى لا يشعر المتلقي بسيطرة قوات العـــدو. وتكلـــم فـــي النموذج الثالث عن محاولات السيطرة على منطقة من العراق، لكنه دفع هذا الأمر بقولـــه: "مـــا نخلـــيهم يعملوا ذلك". وذكر الصحاف في النموذج الرابع محاولة قوات التحالف إضعاف العاصمة ثم استدرك على ذلك وحاول دفعه بالحديث عن تهيؤ العاصمة لسحقهم.

ويلاحظ أن الاستدراك جاء لنفي سيطرة القوات الأمريكية على أيٍّ من المواقع في العـــراق وإثبـــات القدرة العراقية.

٣- النفي :

- جريدة الشرق الأوسط ٢٠٠٣/٣/٢٤: و«ادخلوا المهاجمين في مصيدة القتل، وسوف **لا ينجو احد منهم**».
- جريدة الشرق الأوسط ٢٠٠٣/٣/٢٤: ادخلناهم في المستنقع **ولن يخرجوا** منه احياء ابدا.
- جريدة الشرق الأوسط ٨/٤/ ٢٠٠٣: واضاف «لا تصدقوا هؤلاء الكاذبين **لا يوجد اي من** علوجهم في اي مكان في بغداد» وكرر هذا أيضا بقوله "**لا يوجد أي اميركيين في بغداد**

يأتي النفي لتقرير الحجج بالتلميح[٤٧]، وجاء في خطابات الـــصحاف لتقريـــر عـــدم نجـــاة أى مـــن المهاجمين الأمريكان، كما قرر المعنى نفسه في النموذج الثاني عند حديثه عن عـــدم خـــروجهم أحيـــاء. وحاول الصحاف أن يؤكد من خلال تكرار النفي في النموذج الثالث عدم وجود أيٍّ من الأميركيين في أيٍّ مكان ببغداد.

وينشأ عن هذا النفى تقرير السيطرة العراقية على المعارك، غير أن الأمر انتهـــى بـــدخول القـــوات الأمريكية إلى بغداد، وإسقاط نظام صدام حسين في التاسع من إبريل لعام ٢٠٠٣.

٤- القصر:

القصر هو "تأكيد بنفى الغير وإثبات الحكم للموضوع، ويكون ذلك صراحة بحرف النفى وإلا وضمناً بإنما... ومعنى القصر في الحالتين اختصاص أحد العنصرين دون غيره بالآخر، ومن ثم تأكيد النسبة بينه وبين الآخر"[٤٨]

- مؤتمر المطار ٥/٤/٢٠٠٣: "هؤلاء الأوغاد السفلة **لا يجيدون إلا** هذه الأعمال القذرة هم سياسيون قذرون".
- فندق السلام ٧/٤/٢٠٠٣: "**لن** يكون مصيركم **إلا الهزيمة** على أرض العراق".

يتحقق القصر في النموذجين السابقين بالنفي والاستثناء، يقول عبد القاهر الجرجانى عن هذا النمط من القصر "أما الإخبار بالاستثناء والنفى فيكون لأمر ينكره المخاطَب ويشك فيه"(٤٩).

اختص الصحاف "الأوغاد" الذين تحدث عنهم بإجادتهم للأعمال القذرة فقط، كى يحط من شأنهم ويقنع المتلقي بهذا، والطريف أنه لا ينفي عنهم الإجادة ولكنه يقصرها على الأعمال القذرة فقط.

قصر في النموذج الثاني مصير الجنود الأمريكان على الهزيمة؛ ليؤكد للإمريكان –الذين يتوجه إليهم بالخطاب – قوة العراق وقدرته على هزيمتهم، وهو بهذا التأكيد يصل بالتضليل إلى قمته؛ إذ كشف الواقع عن هزيمة العراق بعد يومين فقط من هذا الخطاب.

٥- الجمل المركبة بشكل مُشوَش:

- جريدة الشرق الأوسط ٢٠٠٣/٤/٤: وقال «لم يتمكنوا من السيطرة على اي مدينة انهم يتحركون باستمرار. انهم غير موجودين في اي مكان انما يتحركون في كل الانحاء ولا يتمركزون في موقع واحد. انه وهم يحاولون اقناع الاخرين به وهم لم يسيطروا حتى على ام قصر».

تتابع الظواهر التركيبية من نفى وتوكيد وقصر في هذه الجملة دون أن يكون هناك دلالة أو معنى واضح "لم يتمكنوا من السيطرة على اي مدينة انهم يتحركون باستمرار. انهم غير موجودين في اي مكان"، وينعكس هذا التشويش على المتلقي فلا يستطيع أن يصل إلى معنى محدد.

وهذا التشويش هو أحد الظواهر المهمة في الخطاب المضلل يقول فان دايك " إن الجماعات أو المؤسسات المهيمنة توضح المعلومات التي تخدم مصالحها، وتعوق فهم المعلومات التي تكون ضد هذه المصالح"(٥٠).

فقد أراد الصحاف عدم التصريح بالمعلومات الحقيقية عن سير المعارك واستيلاء القوات الأمريكية على عدد من المواقع المهمة، فجاء بهذه الجملة التي تُشوش على المتلقي وتمنعه من التعرف على حقيقة الأمر.

رابعًا: المستوى التداولى:

التداولية – "هى دراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل""(٥١) يشير هذا التعريف إلى "أن المعنى ليس شيئًا متأصلاً في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسياق في سياق محدد (مادي، واجتماعي، ولغوي) وصولاً إلى المعنى الكامن في الكلام"(٥٢).

ويقوم البحث التداولي على دراسة أربعة جوانب منها الأفعال الكلامية speech acts (٥٣). وهو ما تتناوله الدراسة.

يقول د.محمد العبد عن أهمية تداولية الفعل الكلامي: " حقيقة الأمر إذن أن تداولية أفعال الكلام هـــي تداولية الفعل الإنجازى. بالفعل الكلامي نؤدى أفعالاً لغوية كالإخبار وتوجيه الأســئلة وإعطـــاء الأوامـــر وعمل الوعود والاعتذارات..."(٥٤)

ويرى د.محمود نحلة أن تقسيم الأفعال الكلامية في اللغة العربية يمكن أن يستفاد فيـــه مـــن تقـــسيم أوستن وسيرل، ومما وضعه سيرل من ضوابط للتقسيم ويكون على النحو التالي:الإيقاعيـــات والطلبيـــات والإخباريات والالتزاميات والتعبيريات(٥٥).

وستركز الدراسة على الطلبيات والإلزاميات لما لهما من أهمية في الكشف عن التضليل في خطـــاب الصحاف.

الالتزاميات:

"هي أفعال كلامية يَقصد بها المتكلم الالتزام طوعًا بفعل شيء للمخاطب في المستقبل بحيـــث يكـــون المتكلم مخلصًا في كلامه عازمًا على الوفاء بما التزم به كأفعال الوعد والوعيد والمعاهدة والـــضمان"(٥٦).

ويبرز هذا النوع من الأفعال الكلامية في خطابات الصحاف على النحو التالى:

- لقاء أبو ظبى ٢٠٠٣/٣/٢٤: نحن **سنحاصرهم ونذبحهم**.
- فندق السلام٢٠٠٣/٤/٧: خسأتم **وسندمركم**...أقول للضباط والجنود الأمريكان استسلموا أفضل لكم **سنقطع رءوسكم**.
- آخر لقاء للصحاف٢٠٠٣/٤/٨:سيتم حرقهم ستفاجئون سنهزمهم.
- جريدة الشرق الأوسط٢٠٠٣/٤/٩: هم سيستسلمون والا **سيحرقون** في دباباتهم.

يظهر في هذه النماذج وعيد الصحاف لقوات التحالف؛ فقد توعدهم بالـــذبح وقطـــع الـــرءوس كمـــا توعدهم بما هو أعم من ذلك، وهو الهزيمة ثم بما هو أعم وهو الدمار. ويُظهـــر هـــذا الفعـــل الإنجـــازى التضليل في ذروته؛ إذ إن الصحاف حاول إقناع المتلقي بقوة العراق وقدرته على التنكيل بالعدو وهزيمته بل وتدميره، رغم أن الواقع أظهر انهيار النظام بأكمله في اليوم التالي مباشرة لآخر خطاب لـــه. ولعلنـــا نلاحظ أن التصريح الأخير وفيه وعيد بإحراقهم في دباباتهم قد نُشر في اليوم نفسه الذي سقطت فيه بغداد.

الطلبيات:

تضم كل الأفعال الكلامية الدالة على الطلب بغض النظر عن صيغتها، ويدخل فيها الأمـــر والنهـــي والاستفهام؛ لأن الاستفهام استخبار، والاستخبار طلب من المخاطب أن يخبرك عن شـــيء تريـــد معرفـــة خبره، والغرض الإنجازي هو التأثير في المتكلم ليفعل شيئًا أو يخبر عن شيء(٥٧).

ويظهر هذا النوع في خطابات الصحاف محققًا مزيدًا من التعليل كما يلى:

- لقاء أبو ظبى٢٠٠٣/٣/٢٤: إنه جيش محتل قوات خائبة يجون يدخلون بلد ٢٦ مليون **إش لون يحاصرون بلد ٢٦ مليون؟..فكيف يحاصرون** بغداد ست ملايين؟ طب ريف بغداد اللى يخترقوه ما راح يحاصرهم؟
- جريدة الشرق الأوسط ٢٠٠٣/٤/٨: **اطمئنوا** بغداد آمنة وحصينة... **لا تصدقوا هؤلاء** الكاذبين لا يوجد اي من علوجهم في اي مكان في بغداد.

ذكرت د.سامية الدريدى أن "طرح الأسئلة في الخطاب وسيلة هامة من وسائل الإثارة ودفع الغير إلى إعلان موقفه إزاء مشكل مطروح"[٥٨]، ويهدف الصحاف من طرح السؤال في النموذج الأول إلى إثارة ذهن المتلقي ودفعه إلى إنكار محاصرة العدو لبغداد، كأنه يقول: "لن يحاصروا بلدًا عدد سكانه ٢٦ مليونًا، لن يحاصروا بغداد وسكانها ستة ملايين نسمة".

ويجتمع في النموذج الثاني أمر ونهي، ولهاتين الصيغتين أهمية حجاجية؛ إذ "تحملان معنى الدعوة، ومن ثمة تبدو صلتهما بالحجاج وثيقة؛ لأنهما يهدفان إلى توجيه المتلقي إلى سلوك معين"[٥٩]. ويسعى الصحاف إلى توجيه القارئ نحو الطمأنة الزائفة من خلال الفعل "اطمئنوا..."، وكذلك من خلال النهي عن تصديق "الكاذبين".

خامسًا: المستوى البلاغي:

تتناول الدراسة في هذا الجزء الاستعارة المفهومية كما طرحتها إلينيا سيمينو في كتابها ا"لاستعارة في الخطاب".

تُعرف الاستعارة بأنها "الظاهرة التي نتكلم بها، وقد نفكر بها في شيء بمفردات شيء آخر..."[٦٠]. والاستعارة المفهومية هي "سلسلة نسقية من التناظرات أو الروابط عبر مجالات مفاهيمية، يتم بواسطتها تأسيس مجال "هدف" على نحو جزئى بمفردات مصدر بمصدر مختلف"[٦١].

وقد أعطت الكاتبة نموذجًا هو "ادعاءتك لا يمكن الدفاع عنها، هاجم كل النقاط الضعيفة في حجتي...هدمتُ حجتى لم أنتصر في حجاج معه قط...لقد قتل كل حججى. وعند تحليل هذا النموذج ذكر أن مجال المصدر في هذه الاستعارة هو الحرب، والحجاج هو المجال المستهدف، وتتضمن الاستعارة المفهومية "الحجاج حرب" تناظرًا بين المشاركين في الحجاج مع الخصوم أو الأعداء واستراتيجات الحجج مع الهجوم والدفاع ونتائج الحجاج النصر أو الهزيمة"[٦٢].

وقد وسعت من مفهوم الاستعارات المفهومية وأدخلت فيها التشبيه تقول الكاتبة "بوجه عام نظر إلى الاستعارة والتشبيه على أنهما من أنماط التحقق اللغوي للربط عبر المجالات"[٦٣].

وللاستعارة وظائف عدة في الخطاب منها؛ أنها يمكن أن تستخدم للإقناع بصياغة مفاهيمية جديدة للواقع وتبريرها وتقييمها وشرحها والتنظير لها وتقديم صياغة جديدة لها...ويمكن للاستعارة أن تستخدم لتقديم ملخصات أو جذب انتباه المخاطبين إلى أجزاء معينة من النص [٦٤].

وقد ركز د.عبد الله صولة على القيمة الحجاجية للتشبيه والاستعارة على دورها في الإقنـــاع وذكـــر أنها "تمثل درجة أعلى في الإقناع من درجة المعنى الحقيقي الذي جاءت مسده"(٦٥).

ترى إيلينا سيمينو أن الاستعارات نادرًا ما تكون محايدة؛ فإنشاء شيء بمفردات شيء آخر تنتج عنـــه وجهة نظر معينة حول الشيء موضوع التساؤل، وينطوي غالبًا على اتجاهات وتقييمات محددة... بمفهوم الاستعارات المفهومية، فإن الاستعارات "تبرز" بعض أبعاد المجال المـــستهدف وتُخفـــي أخـــرى....(٦٦)، وتعطي مثالا على ذلك باستعارة "الحجاج حرب" فهذه "الاستعارة تبـــرز الأبعـــاد التنافـــسية والعدوانيـــة والصراعية للحجاج، وتخفي أبعادها التعاونية والبناءة"(٦٧).

وعود إلى تضليل الصحاف؛ فقد يكون الهدف من الاستعارة المفهومية هو إقنـــاع المتلقـــي بتفـــوق العراق وسيطرته على المعارك:

- جريدة الشرق الأوسط٢٠٠٣/٣/٢٤: "ادخلناهم في **المستنقع** ولن يخرجوا منه احياء ابدا"
- قناة أبو ظبى ٢٠٠٣/٣/٢٤: "اسمع هذه صواريخ كروز ما عاد تخوف أحد إحنا قلنا **نصيدهم زى ما نصيد السمك في النهر**".
- مؤتمر المطار ٢٠٠٣/٤/٥: "ونحن مصممون على ذلك هذه الليلة، أن نرويهم **ديان بيان فو** ثانية ويتذكرها الصحفيون الأوربيون".
- جريدة الشرق الأوسط ٢٠٠٣/٤/٨: "**جرعناهم السم والعلقم** ليلة امس"

استعار الصحاف صورة المستنقع بما فيه من مياه راكدة ومتعفنة ليصور بها المأســـاة التـــي فعلهـــا العراقيون بالقوات الغازية.

واستقى في النموذج الثانى صورة صيد السمك من النهر وشبه بها قدرة العراقيين القتالية؛ فكمـــا أن صيد السمك من النهر شيء عادي وسهل على العراقيين، فكذلك قتال القوات الأمريكية. وتشير الاســـتعارة أيضًا إلى صبر العراقيين وحرفيتهم، الأمر الذي يمكنهم من الصيد في النهر. وهو الأمـــر نفـــسه الـــذي يمكنهم من التعامل مع العدو، والصحاف بذلك يحاول إقناع المتلقي بالقدرة القتاليـــة للعـــراقيين وســـهولة هزيمة العدو.

واستدعى الصحاف في النموذج الثالث صورة الحرب التي قادها الجيش الفرنسي ضد فيتنـــام عنـــد قرية ديان بيان فو، وانتهت بإجبار الجيش الفرنسي على الاستسلام؛ ليشبه بها قوة الجيش العراقي وقدرته على هزيمة قوات التحالف ودفعها للاستسلام بما يظهر التفوق العسكرى المطلق للعراق.

استعار في النموذج الأخير السم ليدل به على القتل، واستعار العلقم ليعبر من خلاله عـــن المـــرارة التي جرعها العراقيون لقوات التحالف، وهو بذلك يحاول إقناع المتلقى بقـــوة العـــراقيين وغلبـــتهم فـــي المعارك. ويظهر واقع الأمر التضليل في هذه الاستعارة؛ إذ سقط النظام العراقي بأكمله بعد يـــومين فقـــط من هذا الحديث.

- حديثه لقناة أبو ظبى ٢٠٠٣/٣/٢٤: "هذه الأفعى اللى هي الأرتال الأمريكية هي محاصرة ما بين البصرة وما بين القرى شمالها.... هذا التشبيه لها بالأفعى عندما تجد أنها ستضرب تهرب إلى مكان آخر هذه الأفعى أينما تتحرك هي محاصرة وليس نحن العراق محاصرين".
- مؤتمر أم القصر٢٠٠٣/٣/٢٣: فالخلاصة الرتل المدرع...أنزل به خسائر عدد من القتلى والجرحى والبقية هربوا كالجرذان.
- مؤتمر المطار ٢٠٠٣/٤/٥: اللى أكثركم شاهد الفيلم الأمريكى Wage the dog عدد من عملهم فجر أمس واليوم فيه ملامح من الفيلم.

استعار الصحاف صورة الجرذان ليصور بها هروب بقية الرتل المدرع، وهو بهذا يستدعي مفهـــوم الذعر الذي ينتاب الفئران عندما يهاجمها العدو، كما يستدعي صورة السلب التي يخلفها الفأر بعد هروبـــه، وتظهر هذه الاستعارة تحقير الصحاف وتقليله من قيمة العدو.

استدعى الصحاف صورة الأفعى بما تتصف به من صفات الغدر والتلون وسرعة الهروب وأسقطها على الأرتال الأمريكية إقناعًا للمتلقي بحقارتها.

شبه الصحاف عمل القوات الأمريكية في معركة المطار، بأحداث الفيلم الأمريكى "ذيل الكلب" الـــذي تدور أحداثه حول اختلاق حرب وهمية لتغطية فضيحة الرئيس الأمريكى قبل الانتخابات الرئاســـية. فقـــد استدعى الصحاف فكرة "اختلاق حرب" ليشبه بها أحداث المطار؛ إظهارًا لكذب القوات الأمريكيـــة بـــشأن سيطرتهم على المطار.

الخاتمة:

وبعد، فقد عرضت الدراسة لتجليات التضليل عند الصحاف عبر المستويات المتعددة للخطاب.

ويُظهر تحليلُ السياق التضليلَ في خطابات الصحاف؛ فقد مكنه منصبه من أن يدلي بما شـــاء مـــن معلومات، ويحجب ما يشاء دون أن يعارضه أحد، كما وفر له هذا المنصب ثقة عند الجمهور.

وتبين من دراسة الدلالة الكبرى لخطابات الصحاف تفخيمه وتضخيمه للعراق شعبًا وحكومـــة، مـــن خلال إظهار السيطرة المطلقة للعراق وقدرته على دحر العدو وهزيمته هزيمة نكراء. وعمل في المقابـــل على إظهار ضعف العدو والتحقير من شأنه. وغاب عن الدلالة الكبرى الحديث عن القدرة القتالية للعدو، والخسائر التي تكبدها العراق، وتقدم القوات الأمريكية الدائم داخل الأراضي العراقية، مما يؤكـــد مقـــصد التضليل في خطاب السلطة العرافية إبان الأزمة.

تبرز الوحدات الدلالية تضليل الصحاف؛ فقد أتى بالوحدات الدلالية التي تبين قدرة العراق وسيطرته على المعارك، وما يتبع ذلك من أمن ومنعة؛ فالجيش العراقي بطل وبغداد آمنة وحصينة. أما قوات العدو فهم علوج ومرتزقة وجبناء وخائبين، كل ذلك ليشغل ذهن المتلقي بتشويه العـــدو، حتـــى لا يلتفـــت إلـــى موضوعات أخرى تتعلق بالحديث عن قدرة العدو وحجمه.

وعند الحديث عن سير المعارك ذكر أن القوات العراقية "تتصدى وتشن هجومًا وتحاصـــر وتـــدمر وتدك...."، أما قوات العدو فهي "محاصرة وتتراجع وتُهزم...". وارتفع بنبرة الخطاب المضلل إلى ذروتـــه عندما تحدث عن انتحار الجنود الأمريكان، وكأنهم يلقون بأنفسهم في التهلكة، وكان هذا في اليوم الـــسابق لانهيار النظام العراقى وسقوط بغداد.

واستعمل الصحاف عددًا من الكلمات المشوشة تجنبًا للحديث عن قوة العدو وقدرته كما في "رتل.."، كما استعمل هذه الوحدات ليُشعر المتلقي بالقوة العراقية، دون أن يكون هناك توضيح لهذه القوة كمـــا فـــي "الموضوع مسيطر عليه" و"عمليات مبتدعة جديدة".

ويتضح التضليل في المستوى التركيبي؛ فقد علل لأفعال العدو بما يشينه ويحط من قدره، كما وظف الاستدراك تشويشًا على المتلقي، حتى لا يقف على حقيقة الأمر، أو نفيًا لسيطرة قوات التحـــالف وإثباتًـــا للتفوق العراقي، وجاء النفي للغرض ذاته. كما يظهر التشويش مع تركيب الجملة؛ عندما يريد الـــصحاف أن يشوش على ذهن المتلقي ويمنعه من إدراك وصول قوات التحالف إلى العاصمة.

وتُظهر الأفعال الإنجازية التضليل في قمته؛ فقد توعد الصحاف قوات التحـــالف بـــألوان العـــذاب وهزيمة نكراء، كما عمل على طمأنة المتلقي طمأنة زائفة؛ إذ انهار النظام بعد هذا الخطاب بأيام قليلة.

واستكمالا لأوجه التضليل في خطاب الصحاف يأتى المستوي البلاغي ودراسة الاستعارة المفهومية، لتكشف عن إعلاء مطلق للذات العراقية باستدعاء مظاهر التفوق مثل نصديهم زى مـــا نـــصيد الـــسمك، ونذيق العدو السم والعلقم، كما تكشف عن تحقير واستهانة بالعدو من خلال استدعاء صورة حرب وهميـــة وصورة كائنات حية مكروهة كالأفعى والجرذان.

الهوامش:

([1]) ولد محمد سعيد الصحاف عام١٩٤٠ في بلدة الحلة بالقرب من مدينة كربلاء التي قضى فيها طفولته وشبابه قبل ان يلتحق بالجامعة لدراسة الصحافة. وعمل بعد تخرجه مدرسًا للغة الإنجليزية، وانضم لحزب البعث عام ١٩٦٣، واستمر يعمل بالتدريس حتى وقوع انقلاب يوليو ١٩٦٨. وشغل الصحاف عدة مناصب أبرزها مدير الإذاعة العراقية، ثم عمل سفيرًا للعراق في بورما فالسويد، ثم مندوبا لبلاده في الأمم المتحدة، ثم عُين عام ١٩٩٢ وزيرًا للخارجية في المرحلة التي تلت غزو الكويت، التي شهدت فرض عقوبات دولية على العراق. وتم نقل الصحاف من منصب وزير الخارجية لوزارة الإعلام في إبريل عام ٢٠٠١.
http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/news/newsid_2928000/2928923.stm

([2]) van Dijk, T. A. (2006). Discourse and manipulation. Discourse & Society, 17(3), p.359.

([3]) هربرت أ. شيللر، المتلاعبون بالعقول، ترجمة عبد السلام رضوان، عالم المعرفة، الكويت، مارس، ١٩٩٩.

([4]) van Dijk, T. A. (2006). Discourse and manipulation, p.3.

([5]) Louis de Saussure: Manipulation and cognitive pragmatics Preliminary hypotheses,
https://www2.unine.ch/files/content/sites/cognition/files/shared/documents/10.1.1.117.8238.pdf

([6]) van Dijk, T. A. (2006). Discourse and manipulation, p.359.

([7]) Ibid, p.373.

([8]) Ibid,p.375.

([9])Louis de Saussure: Manipulation and cognitive pragmatics Preliminary hypotheses.

([10]) van Dijk, T. A. (2006). Discourse and manipulation,p.375.

([11])van Dijk(1988):News as discourse, Lawrence Eribaum Associates, Hillsdale, p.26.

([12]) van Dijk, T. A. (2006). Discourse and manipulation, p.373.

([13])Louis de Saussure: Manipulation and cognitive pragmatics Preliminary hypothes.

([14]) تضم الوحدة الدلالية عند نيدا Nida

- (الكلمة المفردة) وهى أهم الوحدات الدلالية؛ لأنها تشكل مستوى أساسيًا للوحدات الدلالية.
- (أكبر من الكلمة تركيب) هي الوحدات الدلالية الأكثر شمولية، وهي المتركبة من وحدات على مستوى الكلمة ويعني بها تلك العبارات التي لا يفهم معناها بمجرد فهم معاني مفرداتها وضم هذه المعاني بعضها إلى بعض وفى هذه الحالة يوصف المعنى بأنه تعبيري idiomatic ويدخل تحت هذه الوحدة الأنواع الثلاثة: التعبير الاصطلاحى idiom مثل ضرب كفًا بكف، والتركيب الموحد: ويعني الكلمة المكونة من مورفيم حر بالإضافة إلى مورفيم متصل أو المكونة من مورفيمين متصلين أو أكثر مثل البيت الأبيض...أما المركبات أو التعبيرات المركبة فتختلف عن التركيبات الموحدة في أن الكلمة الرئيسة فيها ما تزال تنتمى إلى المجال الدلالي نفسه مثل: field work
- أما(الجملة): فيعدها بعض اللغويين من أهم وحدات المعنى.
- أما الوحدة الدلالية التي تعد أقل من المورفيم فتتمثل في المورفيم المتصل ويشمل السوابق (مثل حرف السين للدلالة على الاستقبال) واللواحق (مثل الضمائر المتصلة).
- أما الوحدة الدلالية التي تعد أقل من المورفيم فمثل دلالة الضمة على التكلم. راجع في ذلك د. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط ٥، ص٣٢– ٣٤، وتتناول هذه الدراسة الوحدة الدلالية من كلمة مفردة ومركب وصفى ومركب إضافى وجملة.

([15]) Louis de Saussure: Manipulation and cognitive pragmatics Preliminary hypotheses.

([16]) د.أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب،القاهرة، ٢٠٠٤، مادة بسل، ومادة بطل.

([17]) لم يخلُ خطاب للصحاف من كلمة "علوج" مثل حديثه لقناة الجزير٢٠٠٣/٤/٦: العراقيين عارفين ما هي وسائل الغش والمخادعة...عسى هؤلاء العلوج يسيطرون على منطقة من العراق.

([18]) حديث لقناة أبو ظبى ٢٠٠٣/٣/٢٤:إنه جيش محتل قوات **خائبة**

([19]) جاء في حديثه لقناة أبو ظبى٢٠٠٣/٣/٢٤: غالبهم ينقتل في ساحة القتال لأنهم **جبناء**

([20]) ابن منظور، لسان العرب، مادة علج، دار المعارف، د.ت، د.ط.

([21]) معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة رزق.

([22]) المرجع السابق، مادة وغد.

([23]) المرجع السابق، مادة جبن.

([24]) المرجع السابق، مادة جرم.

([25]) المرجع السابق، مادة تعس.

([26]) المرجع السابق، مادة تفه.

([27]) المرجع السابق، مادة بله.

([28]) المرجع السابق،، مادة حصر.

([29]) المرجع السابق، مادة صدى.

([30])المرجع السابق، مادة دمر.

([31]) المرجع السابق، مادة شنن.

([32]) المرجع السابق، مادة دكك.

([33]) Louis de Saussure: Manipulation and cognitive pragmatics Preliminary hypotheses.

([34]) Gunta Rozina & Indra Karapejana, The Use of Language in Political Rhetoric: Linguistic Manipulation, http://sablon.sdu.edu.tr/dergi/sosbilder/dosyalar/19_9.pdf

([35]) جريدة الشرق الأوسط ٢٠٠٣/٤/٩: احرقنا عددا من المعدات والدبابات في معسكر الرشيد.

([36]) معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة قسم.

([37]) المرجع السابق، مادة عدد.

([38]) المرجع السابق، مادة رتل.
([39]) المرجع السابق، مادة
([40]) المرجع السابق، مادة تبع.
([41]) المرجع السابق، مادة عمل.
([42]) المرجع السابق، مادة بدع.
([43]) المرجع السابق، مادة طرق.
([44]) د.سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني الهجري بنيته وأساليبه، جدار للكتاب العالمى، عمان، الأردن، ٢٠٠٨، ص٣٣٤
([45]) ابن هشام (عبد الله بن يوسف)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٢، ج١، ص٣٢٠.
([46]) عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ٢٠٠٤، ط١، ص٥١١.
([47]) المرجع السابق، ص ٤٨٦.
([48]) د. تمام حسان، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، ط٢، ٢٠٠٣، ص١٣٦.
([49]) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقبق: محمود محمد شاكر،الهيئة العامة للكتاب،٢٠٠٠، ص٣٣٢.
([50]) van Dijk, T. A. (2006). Discourse and manipulation, p.365.
([51]) د. محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوى المعاصر، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١١، ص١٤.
([52]) المرجع السابق، ص١٤.
([53]) المرجع السابق، ص١٦، والجوانب الأخرى للبحث التداولي هي: الإشارة والافتراض السابق الاستلزام الحواري.
([54]) د.محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ٢٠٠٥، ص٢٨٧.
([55]) د. محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص١٠١.
([56]) المرجع السابق، ص١٠٧.
([57]) المرجع السابق، ص١٠٦.
([58]) د.سامية الدريدى، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية، ص١٤١.
([59]) المرجع السابق، ص١٤٩.
([60]) إيلينا سيمينو، الاستعارة في الخطاب، ترجمة د. عماد عبد اللطيف، خالد توفيق، المركز القومي للترجمة، ط١، ٢٠١١ ص٤٠.
([61]) المرجع السابق، ص ٢٩-٣٠.
([62]) المرجع السابق، ص٢٩ – ٣٠.
([63]) المرجع السابق، ص٥٠.
([64]) المرجع السابق، ص٧٨، ٧٩.
([65]) د.عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة، من كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، إعداد: حافظ إسماعيلي العلوي، عالم الكتب الحديث، الأردن ٢٠١٠م، ص٤١.
([66]) إيلينا سيمينو، الاستعارة في الخطاب، ص٨٠.
([67]) المرجع السابق، ص٨١.

المصادر:

- عينة من المؤتمرات الصحفية واللقاءات التلفزيونية والأحاديث الصحفية التي ألقاها محمد سعيد الصحاف في الفترة من ٢٠مارس إلى ٩ إبريل.

المراجع العربية:

١. د.أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط ٥، ١٩٩٨.
٢. ________________________________

________________، معجم اللغة العربية، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٤

٣. إيلينا سيمينو، الاستعارة في الخطاب، ترجمة د. عماد عبد اللطيف، خالد توفيق، المركز القومى للترجمة،القاهرة، ط١، ٢٠١١.
٤. د. تمام حسان،، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، ط٢، ٢٠٠٣.
٥. د.سامية الدريدى، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثانى الهجرى بنيته وأساليبه، جدار للكتاب العالمى، عمان، الأردن، ٢٠٠٨
٦. عبد القاهر الجرجانى، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر،الهئية العامة للكتاب،٢٠٠٠.
٧. د.عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة، من كتاب "الحجاج مفهومه ومجالاته"، إعداد: حافظ إسماعيلي العلوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١٠.
٨. عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتب الوطنية، بنغازى، ط١، ٢٠٠٤.
٩. د.محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ٢٠٠٥.
١٠. د.محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٣.
١١. ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت.
١٢. هربرت أ. شيللر، المتلاعبون بالعقول، ترجمة عبد السلام رضوان، عالم المعرفة، الكويت، مارس، ١٩٩٩.
١٣. ابن هشام(عبد الله بن يوسف)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.

المراجع الأجنبية:

1. – Gunta Gunta Rozina & Indra Karapejana, The Use of Language in Political Rhetoric: Linguistic Manipulation, http://sablon.sdu.edu.tr/dergi/sosbilder/dosyalar/19_9.pdf
2. Louis de Saussure: Manipulation and cognitive pragmatics Preliminary hypotheses. https://www2.unine.ch/files/content/sites/cognition/files/shared/documents/10.1.1.117.8238.pdf
3. ---------- (2006). Discourse and manipulation. Discourse & Society, 17(3)..
4. van Dijk(1988):News as discourse, Lawrence Eribaum Associates, Hillsdale

المواقع الإلكترونية:

1- http://news.bbc.co.uk
2- http://www.aawsat.com/
3- https://www.youtube.com/?gl=EG
4-https://www2.unine.ch